مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

تسليم أدبيّ:

دُرَّةُ الْحُلَلِ فِيْ شَرْحِ أَبْيَاتِ الْجُمَلِ لِابْنِ السَّيِّدِ البَطْلِيُوْسِيِّ

بدور عبد الرحمن الزيات[1]

١ جامعة الفرات / كلِّيَّةُ الآداب / قسم اللُّغة العربيَّة، سوريا؛ dr.boudor.alzayyat@gmail.com

دكتوراه في اللغة العربية / مدرس

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٣/٢/١٤	٢٠٢٣/٣/٨	٢٠٢٣/١٢/٣١

المجلـد (١٦) العـدد (٢٨)
جمادى الآخرة ١٤٤٥هـ-كانون الأول٢٠٢٣م

DOI:
10.55568/t.v16i28.173-194

CC BY NC

مُلخَّص البحث:

إنّ البحث اللغوي قديم قدم الزمن في تراثنا العربي، وكان واضحاً مع بداية نهوض الحركة العلميَّة في القرن الثاني الهجريّ عندما أراد الرواة وعلماء البصرة والكوفة جمع اللُّغة من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، فقاموا بتدوينها ثُمَّ تقعيدها، فخلَّفوا بذلك نتاجاً علميًّا امتدَّ أثره على مدى القرون.

من بين هؤلاء العلماء اللُّغويّين الذين اشتُهروا في القرن السادس الهجريّ ابن السيِّد البطليوسيّ. سأبيِّن في هذ البحث أهمَّ سمات التفكير النحويّ عند ابن السيد وبيان الأسس التي بنى عليها تفكيره النحويّ متخذةً كتابه (الحلل في شرح أبيات الجمل للزجاجيّ) أنموذجاً، وهذا الكتاب يُعَدُّ مصدراً من المصادر اللُّغويَّة الأصيلة التي برزت فيها عبقريَّة صاحبها، و كان مصدراً من مصادر كتب الشواهد الشعريَّة الكبرى في التاريخ الأدبيّ، ويسمو على كثير من شروح أبيات الجمل التي سبقته أو جاءت بعده في المنهج والعرض والشرح والدقَّة في تناوله، وكثرة التحقيق في مسائله، و انفرد صاحبه بآراء كثيرة تناقلها العلماء.

الكلمات المفتاحيَّة: التفكير النحويّ- الشاهد النحويّ – التقعيد- العلّة- القياس.

Durrat Al-Hulal in Explaining the Verses of the Sentences by Ibn Al-Sayyid Al-Batalyawsi

Budoor Abdurrahman Az-Zayyat [1]

1 Al-Furat University/College of Arts/Department of Arabic, Syria;
dr.boudor.alzayyat@gmail.com
PhD. in Arabic language/ Lecturer

Received:	Accepted:	Published:
14/2/2023	8/3/2023	31/12/2023

DOI: 10.55568/t.v16i28.173-194

Volume (**16**) Jumada Alakhirah 1445 AH
Issue (**28**) December 2023

CC BY NC

Abstract:

Linguistic research is as old as time in our Arab heritage . It was clear with the beginning of the scientific movement in the second century “AH' when the narrators and scholars of Basra and Kufa wanted to collect the language from north to south and from east to west. So they wrote it down and then tied it up. Among these Linguists, who became famous in the fourth century AH, was Ibn Al-Sayyid Al-Batusi, in this research, there will be a survey to the most important features of Ibn al-sayyid's grammatical thinking and an explanation of the foundations on which he built his grammatical thinking, taking his book (AL-Halal fi sharh ABYAT AL-Gamal by AL-Zajaji) as a model, the book is one of the original linguistic sources in which the genius of its owner emerged, it was also one of the major poetic evidence books in literary history and transcends many of the explanations of the verses of the sentences that preceded it or came after it in terms of method, presentation, explanation and accuracy .

Keywords: Grammatical thinking, Grammatical, Witness, Cause, Analogy .

أهمِّيَّة البحث:

تنبع أهمِّيَّة هذا البحث من خلال الكشف عن حقبة مهمَّة من تاريخ التفكير النحويّ وأهمِّيَّته من خلال دراسة التراث النحويّ في الأندلس في القرن السادس الهجري، الذي يعدّ قرناً مميّزاً للمدرسة النحويَّة الأندلسيَّة، إذ نضج النحو فيه وذاعت شهرة الأندلسيّين ومن هنا نبعت فكرة الاهتمام به وربطه بتطوُّر الفكر النحويّ عامَّة عند المهتمِّين به.

هدف البحث:

يأتي هذا البحث ليبيِّن بعضاً من معالم التفكير النحويّ عند عَلَمٍ من أعلام النحو في الأندلس من خلال كتابه (الحُلَل) الذي عني بالشواهد الشعريَّة النحويَّة التي احتجَّ بها الزجاجيّ في كتابه (الجُمَل)، هذا السِّفْر العظيم الذي تبوَّأ مكانة سامقة بين المصنَّفات النحويَّة، وهي الغاية التي يصدر عنها هذا البحث.

منهج البحث:

يتبع هذا البحث في منهجه العام المنهج الوصفيّ التحليليّ، فهو منهج قائم على وصف الظاهرة اللُّغويَّة وتحليلها ومن ثُمَّ استخلاص أهمِّ الآراء النحويَّة واللُّغويَّة التي تضمَّنها الكتاب، وهذ المنهج يتناسب ودراسة الظاهرة اللُّغويَّة عموماً ويعين على فهم تطوُّرها وفهمها وتحليلها.

أسئلة البحث:

-لِمَ اخْتِير ابن السيد لبيان منهجه النحويّ من خلال دراسته لشواهد كتاب الجمل للزجاجيّ؟

-لِمَ اخْتِير اختيار كتاب (الحُلَل في شرح أبيات الجمل)، علماً أنَّه قد تَمَّ شرح كتاب (الجمل) للزجاجيّ على يد أكثر من عشرين عالماً في اللُّغة والأدب؟

-لِمَاذا يجب أن نهتمَّ بدراسة الشاهد الشعريّ النحويّ؟

مقدِّمة البحث:

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ التفكير النحويّ هو أسلوب علميّ ذو أصول محدَّدة المعالم ووسائل منهجيَّة واضحة يسلكها النحويّ لاستخلاص القواعد والقوانين التي ارتكز عليها كلام العرب، فالفكر النحويّ يتبدّى في فهم الاستعمال الصحيح للُّغة التي استعملها العرب للتواصل فيما بينهم،

ومعرفة أسرار نسجها وطرائق بنائها للوصول إلى القاعدة النحويَّة "ليلحق من ليس من أهل اللُّغة العربيَّة بأهلها في الفصاحة فينطقَ بها وإن لم يكن منهم وإن شذَّ بعضهم عنها رُد به إليها"[١] .

إنَّ التفكير النحويّ يستند إلى عدد من الأصول التي لابد من أن تكون صوًى يهتدي بها النحويّ في أثناء استقرائه كلام العرب وتحليله، وهذه الأصول هي أدلَّة تنقسم إلى أدلَّة ماديَّة، وهي كلام العرب، وأدلَّة عقليَّة كالقياس والاستصحاب والاستحسان.

وقبل الولوج وعرض كتاب ابن السيد (الحُلل) لابدَّ من الوقوف عند أهمِّيَّة كتاب الجُمَل لصاحبه أبي القاسم الزجاجيّ / ت ٣٤٠هـ/ الذي خلّف عدداً من المصنَّفات ذكر المترجمون أنَّ أغلبها في علوم العربيَّة المختلفة، وقد أوردت كتب التراجم أسماء تلك المصنَّفات[٢] ، نُشِر بعضُ منها، وما يزال بعضها الآخر مخطوطاً محفوظاً في مكتبات العالم المختلفة، كيف لا نصدِّق ذلك، و"قد تتلمذ على أشهر علماء اللُّغة في عصره كالزجّاج / ت ٣١١هـ/ وابن السرّاج / ت٣١٦هـ/ والأخفش الأصغر / ت٣١٥هـ/ وأبي بكر الأنباريّ / ت٣٢٨هـ/ وابن كيسان / ت٢٩٩هـ/ وابن دريد الأزديّ / ت٣٢٣هـ/ واليزيديّ / ت٢٠٢هـ/ ، ونفطويه/ ت٣٢٣هـ/ ، والرازيّ / ت ٣١١هـ/ وغيرهم، فلم يكد يترك عالماً إلَّا أخذ عنه[٣] ، وهذا يدلُّ على نشاطه وسعيه الحثيث وحسن إفادته من الحركة الثقافيَّة الخصبة في بغداد، ممَّا جعل عنده ثقافة وافرة ومتنوِّعة في علوم العربيَّة المختلفة، وبذلك حقَّق لنفسه سمعة علميَّة، وصنَّف من الكتب ما يدلُّ على علم جمٍّ، ولكن من خلال مصنَّفاته التي ألَّفها وعني بها كان أمْيَل للنحو والصرف، وقد سار وفق المنهج البغداديّ / ت ٣٠٦هـ/ الذي اعتمد الاختيار من مدرستَي البصرة والكوفة، وعلى الرغم من أنَّ الزجاجيّ / ت٣٤٠هـ/ كان كشيخه الزّجّاج ميّالاً إلى البصريّين آخذاً برأيهم في أكثر الأحايين - حيث يسمِّي البصريّين أصحابنا[٤] - إلا أنَّه لم يكن متعصِّباً ولا مقلِّداً، وقد عدَّه الزبيديّ / ت١٢٠٥هـ/ في الطبقة العاشرة من النحويّين البصريّين[٥]

١ ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص، تحقيق. محمد علي النجار (بيروت: عالم الكتب، د.ت.)، ٣٤.
٢ الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق. الجمل في النحو، تحقيق. د، علي توفيق الحمد، ط١ (دار الأمل، ١٩٨٤)، ١٧.
٣ الزجاجي، ٩-١٠-١١.
٤ الزجاجي، ١٥.
٥ محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق. محمد أبي الفضل إبراهيم (مصر: دار المعارف، ١٩٧٣)، ١٢٩.

وقد كان الزجاجيّ ينفذ إلى آراءَ جديدةٍ على الرغم من إحاطته بآراءِ المدرستين، فقد كان يختار لنفسه ما يرضاه، من هذه الآراء:

١-(عدّه "كان وأخواتها") حروفاً لا أفعالاً.

٢-جوّز إعمال "إنَّ وأخواتها" في حالة زيادة "ما".

٣-تفرّد بقوله "أمسِ" تُبنى على الفتح.

٤-خالف النحويّين في تَكرار النعت المقطوع.

٥-ذهب إلى أصالة "لعلَّ" وأنَّ اللام فيها غير مزيدة.

٦-قال بحرْفيَّة أدوات الشرط جميعها وأطلق عليها تسمية "حروف الجزاء.

٧-جوَّز زيادة "إنْ" المكسورة المخفَّفة بعد "لـمّـا"متفرِّداً برأيه عمّن سبقه من النحويّين[٦] .

كتاب (الجمل) للزجاجيّ:

من ينعم النظر في هذا الكتاب يجد نفسه أمام عالم متمكِّن يحسن عرض موضوعاته، ويتناولها بأسلوب سهل واضح خالٍ من التعقيد، يكثر من الشواهد القرآنيَّة الكريمة والأبيات الشعريَّة -وقد نسب أكثرها إلى قائليها وقد أورد عدداً من الأمثال والأقوال المشهورة فضلًا عن حديثَين شريفين فقط، كلّ هذا ليصل بمناقشتها بيسر وسهولة إلى تقرير قواعد موضوعاته مع براعته في التحليل والتعليل، من دون أن يشعر القارئ بضجر، بل يشدَّه ويشوّقه إلى متابعة القراءة، فقد نراه كتاباً مناسباً لمستوى المتعلِّمين، فالفائدة الواضحة المرجوة من كتابه تعليميَّة، ولعلَّه أراد أن يبسط علم النحو في العصور المتقدِّمة لما لقي من نفور من كثرة الافتراضات والحدود المنطقيَّة الجافَّة والتعليل والقياس في العصور القديمة[٧] .

ضمَّ الكتاب خمسة وأربعين ومائة باب، تناولت أبواب النحو، والصرف، والأصوات، **والضرورات** الشعرية، أمّا منهجه في ترتيب الأبواب فهو كسابقِيه من النحويّين المتقدِّمين، نراه يبدأ ببعض التقسيمات الصرفيَّة فيتناول مجموعة من الأبواب النحويَّة يظهر في ترتيبها احتفاله بالعامل، وشغلت هذه الأبواب الجزأين الأوَّلين فضلًا عن بعض الجزء الثالث

٦ الزجاجي، الجمل في النحو، ٤١-٣٠٤-٢٩٩-١٥-٣٥٢.

٧ الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق، مقدمة المحقق. تحقيق: د، علي توفيق الحمد، ط١ (دار الأمل، ١٩٨٤)، ١٨-١٩.

من الكتاب لم تخلُ من الإشارات الصوتيَّة أو الصرفيَّة وأتبعها طائفةً من الأبواب الصرفيَّة كالتصغير والنسب، وألف الوصل والقطع والمذكَّر والمؤنَّث والأفعال المهموزة فضلًا عن أبواب في الهجاء وأحكام الهمزة في الخطِّ وفي الجزء الأخير عرض أبواباً نحويَّة تدور معظمها حول الأدوات واستخداماتها وأبواب الحكاية، وختم كتابه بأبواب في الأصوات اللُّغويَّة كالإمالة والإدغام والإبدال والإعلال والحروف المجهورة والمهموسة[٨].

ويبدو من كلٍّ ممَّا سبق أنَّ الزجاجيّ قد ألَّف كتابه في أواخر حياته العلميَّة، حيث أودع فيه علماً غزيراً يظهر فيه تمكّنه ونضوجه العلميّ.

وقد اعتمد في منهجه على اليسر والسهولة، فكثرة الشواهد والأمثلة ميزة مهمَّة في الكتاب تساعد في توضيح المادَّة وتسهيلها على الدارسين، وأيضاً اهتمام الناس الواسع به، قال القفطيّ فيه:

"وهو كتاب المصريّين وأهل المغرب وأهل الحجاز واليمن والشام، إلى أن اشتغل الناس باللُّمع لابن جنِّيّ، والإيضاح للفارسيّ"[٩] .

وقال اليافعيّ فيه: " ولعمري إنَّ كتاباً عظم النفع به، مع وضوح عباراته، وكثرة أمثلته هو جمل الزجاجيّ، وهو كتاب مبارك، ما اشتغل به أحد في بلاد الشام على العموم إلَّا انتفع"[١٠] .

وقال أيضاً: "وأخبرني بعض فضلاء المغاربة أنَّ عندهم لكتاب الجُمل مئة وعشرين شرحاً"[١١] .

أمَّا في الدراسات اللُّغويَّة الحديثة فجاءت بحوث خاصَّة مستقلَّة بجهود الزجاجيّ منها:

١-الزجاجيّ (حياته وآثاره) لمازن المبارك.

٢-جهود الزجاجيّ في النحو واللُّغة لعبد الحسين المبارك.

أمَّا شوقي ضيف فقد بيّن قيمة الكتاب ومكانته بقوله: " لقد حظي كتاب الجُمَل شهرةً مُدَوِّيَة لدقَّته، ووضوح عباراته لدقائق النحو البصريّ التي يحتاجها الناشئة".

إذن كثرت وتنوّعت شروحه في طريقتها وعرض مادَّتها وحجمها، فمنها ما زاد على مجلَّدين أو أكثر، ومنها ما كان قصيراً، ومنها ما كان تعليقات وتعقيبات على الكتاب وما وقع فيه من الخلل،

٨ الزجاجي، الجمل في النحو، ٢١-٢٠.

٩ جمال الدين بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق. محمد أبي الفضل إبراهيم، ط١ (دار الكتب المصرية، ١٩٥٢)، ١٦١.

١٠ عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (الهند: طبعة حيدر آباد الدكن، ١٣٣٧)، ٣٣٢.

١١ اليافعي، ٣٣٣.

ومنها ما اقتصر على شرح شواهده فقط، "ومن هذه الشروح ما زال مخطوطاً، ومنها ما ضاع في جملة ما ضاع من تراث العربيَّة وبقي اسمه، أو النقل عنه أو الإشارة عليه، نذكر منها"[١٢] :

١-عَوْن الجُمَل لأبي العلاء المعرِّيّ / ت٤٤٩هـ/ مفقود.

٢-شرح شواهد الجُمَل للأعلم الشنتمريّ / ت٤٧٦هـ/ مفقود، وقد بقي شرح شواهده.

٣-الحُلَل في شرح أبيات الجُمَل" لابن السيد البطليوسي / ت٥٢١هـ/ محقّق.

٤-شرح أبيات الجُمَل لأبي القاسم الشريشيّ / ت ٥٤٠هـ/ مخطوط.

٥-شرح أبيات الجُمَل لأبي العبَّاس التدميريّ / ت٥٥٥هـ/ لم يصل شرحه إلينا وقد ذكرته المصادر باسمه.

٦-المجمل في شرح أبيات الجُمَل لابن هشام اللخميّ / ت٥٦٠هـ/ مخطوط.

٧-الرسالة الفريدة والأملوحة المفيدة لعلي بن محمَّد البلنسيّ، وشرحه مذكور في مؤلَّفاته.

٨-شرح أبيات الجُمَل للوهرانيّ / ت٦١٥هـ/ وشرحه هذا لم يصل إلينا.

٩-وشي الحُلَل في شرح أبيات الجُمَل لأحمد بن يوسف اللبليّ / ت ٦٩١هـ/ محقَّق،

١٠-شرح شواهد الجُمَل لابن هشام الأنصاريّ / ت٧٦١هـ/ .

ولعلَّ من أهمِّ تلك الشروح وأوفرها حظًّا ونصيباً -وهو محور دراستنا-كتاب "الحُلَل في شرح أبيات الجُمَل" لابن السيد البطليوسيّ / ت٥٢١هـ/ .

لمحة عن القرن السادس الهجريّ في الأندلس:

على الرغم من الظروف السياسيَّة الصعبة التي عاشتها بلاد الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريّين فإنَّ اهتمام الأندلسيّين كان منصبًّا على علوم العربيَّة من نحو وبلاغة وقراءات، وإن كان النحو قد بدأ في الأندلس متأخِّراً لكنَّه استطاع أن يثبت وجوده من خلال عدد من العلماء الذين رحل قسم منهم صوب المشرق، ونهلوا من العلم هناك، فبقي بعضهم مستقرًّا في المشرق، وبعضهم عاد إلى الأندلس، ولقد نضج النحو في القرن السادس الهجريّ وطغى التفكير النحويّ عند مجموعة مهمَّة وطغى من علماء اللُّغة، فغدت الأندلس في تلك الحقبة مركزاً أساسيًّا ومنبعاً من منابع النحو، واتَّفق النحويُّون المعاصرون على تسمية الاتِّجاه

١٢ الزجاجي، الجمل في النحو، ٢٥-٢٦-٢٧-٣٠.

الفكريّ للنحو في الأندلس بالمدرسة النحويَّة لها مذهبها المستقلّ والخاصّ، وبدأت معالم المدرسة الأندلسيَّة آنذاك في الظهور على أيدي بعض الأفذاذ من النحويّين، ومن بين هؤلاء: ابن السيد البطليوسيّ (ت ٥٢١ هـ) الذي كان يُقرِئ الطلَّاب في قرطبة، ثُمَّ في بلنسية النحوَ، وعني بكتاب الجُمَل للزجاجيّ، و"ابن الباذش الغرناطيّ" (ت ٥٢٨ هـ)، الذى كان ذا معرفة واسعة بعلم العربيَّة، وصنَّف شروحاً على كتب مختلفة للبصريّين والبغداديّين، و "أبو القاسم السهيليّ"، المُتَوَفَّى (٥٨١هـ) مؤلِّف نتائج الفكر، وغيره، و" ابن خروف" (ت ٦٠٩هـ)، وابن مضَّاء القرطبيّ (ت ٥٩٢هـ) صاحب كتاب الردّ على النحاة، وابن عُصفور الأشبيليّ (ت ٦٦٩هـ)، صاحب كتاب المقرّب والممتع في التصريف، ومنهم ابن مالك الطائيّ الأندلسيّ (ت٦٧٢هـ) صاحب الألفيَّة المشهورة في النحو، وله كتب مهمَّة في النحو منها كتاب التسهيل، ومنهم أبو حيَّان الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ) صاحب المؤلَّفات المهمَّة في النحو لعلَّ من أهمِّها كتاب "التذييل والتكميل في شرح التسهيل"، و"ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب" وغيرها.

وفي غمرة التنافس العلميّ بين النحويّين الأندلسيّين كان كتاب الجُمَل للزجاجيّ محطَّ أنظار النحويّين عامَّة، بيد أنَّ بعضهم كان مؤيِّداً له كأبي الحسن بن الباذش الغرناطيّ، وبعضهم كان رافضاً أن يأخذ ما جاء من المشرق من دون تمحيص ونقد، ومن هؤلاء النحويّين ابن السيد البطليوسيّ.

نسبه ومولده: يعود نسب ابن السيد إلى مدينة بطليوس في غربي قرطبة، ولد ونشأ فيها ثُمَّ انتقل إلى بلنسية حيث سكنها واستقرَّ فيها ونال شهرته فيها، وبقي فيها حتَّى وفاته[١٣].

طلبه للعلم وأهمُّ شيوخه: تلقَّى ابن السيد تعليمه في الأندلس، فهو لم يغادرها رغم صعوبة الأحوال وكثرة الحروب بين المماليك المتفرِّقة التي حدثت قبل استلام المرابطين الحكم، وقد درس هذا العالم على يد عدد من العلماء من أشهرهم أبو الفضل البغداديّ / ت ٣٨١هـ/ ، أبو عليّ الغسَّانيّ / ت ٤٩٨هـ/ ، أبو بكر عاصم بن أيُّوب البطليوسيّ / ت ٤٩٤هـ/ ، وأبو سعيد الورَّاق / ت ٤٩٨هـ / ، وقد نهل منهم الشيء الكثير والعلم الوفير [١٤].

١٣ – شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق. إحسان عباس (بيروت: دار صادر، د.ت.)، الجزء الثالث ٩٦.

١٤ ابن خلكان، الجزء الثالث ٩٦-٩٧.

أبرز تلاميذه: أبو القاسم السهيليّ / ت ٥٨١هـ/ ، والقاضي عياض / ت ٥٤٤هـ/ ، وابن سمحون القرطبيّ / ت ٥٧٨هـ/ [١٥] .

مؤلَّفاته:

استطاع ابن السيد أن يؤلِّف عدداً من المصنَّفات التي فرضت وجودها في الساحتين اللُّغويَّة والأدبيَّة، منها: (الخلل الواقع في الجُمَل، المسائل المنثورة في النحو)، وقد شرح كتاب (الحُلَل في شرح أبيات الجُمَل) للزجاجيّ، وكتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة؛ وسمَّاه (الاقتضاب في شرح أدب الكتَّاب)، وشرح كتاب (الكامل) للمبرِّد، وشرح (فصيح ثعلب)، وشرح (ديوان المتنبيّ)، وشرح كتاب (المثلَّث في اللغة)، ولم يتوقَّف ابن السيد عند كتب النحو وحسب، بل كان له علم بالحديث فشرح كتاب (الموطَّأ) لابن مالك وغيره من كتب الأحاديث[١٦]

لا ضير إن قلنا إنَّ كتاب (الحُلَل في شرح أبيات الجُمَل) للبطليوسيّ من أهمِّ شروح كتاب (الجُمَل)، ويمكننا أن نضع هذا الكتاب في منزلة سامقة يعلو على كثير من شروح سبقته أو جاءت بعده، والذي يدفعنا إلى هذا الحكم ذكرُ بعض سمات هذا الكتاب التي تقوِّي حكمنا. ولعلَّ أهمَّ تلك السمات -وهي كثيرة-:

١-الكتاب ذو منهج واضح، حدَّده ابن السيد في مقدِّمة كتابه والتزم فيه من أوَّلِهِ إلى آخرِهِ، بقوله: (لَّما فرغت من الكلام في إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجُمَل، أردت أن أتَّبع ذلك الكلام في إعراب أبياته ومعانيها، وما يحضرني من أسماء قائليها، وغرضي أن أصل بكلِّ بيت منها ما يتَّصل به ليكون أبين لغرض قائله ومذهبه ولم يمنعني من الكلام في إعرابها ومعانيها ما تقدَّمني من كلام غيري فيها.....)[١٧] .

٢-ذكره لمواطن الخلل وذلك عند عرضه المسألة ومناقشتها وفقاً لآراء النحويّين وبيان ضعفها وسوء فهم الزجاجيّ لها، ثُمَّ يختم المسألة ببيان رأيه وتحديد موقفه معتمداً على سيبويه في أكثر الأحيان فضلًا عن جانب اعتداده بآراء الفارسيّ وابن جنِّيّ وغيرهم.

---

١٥ ابن خلكان، الجزء الثالث ٩٧.

١٦ ابن خلكان، الجزء الثالث ٩٨.

١٧ عبد الله بن محمد ابن السيد البطليوسي، الحلل في شرح أبيات الجمل، تحقيق. د، مصطفى إمام، ط١ (القاهرة: مكتبة المتنبي، ١٩٧٩)، ١٣-١٤.

٣- يُعَدُّ من المصادر التي اعتمد عليها أصحاب الشروح الذين جاؤوا بعده.
٤-يُعَدُّ مصدراً لغويًّا مهمًّا لكثير من المراجع النحويَّة، وكتب الشواهد الجامعة، كـ كتب (ابن هشام، والسيوطيّ، والبغداديّ، والعينيّ..... وغيرهم لفحوى مادَّته الغنيَّة .
٥-الكتاب حافل بآرائه المتعدِّدة وتحقيقاته الكثيرة التي نُقلت عنه في كثير من المراجع النحويَّة واللُّغويَّة.
٦-أسلوب ابن السيد في كتابه علميّ إذ يُعَدُّ أنموذجاً جيِّداً لما يحتفي فيه من الشرح والتحليل.
٧-هو مصدر شرح لغويّ يكتفي فيه صاحبه بإيضاح الألفاظ الغامضة وشرحها شرحاً معجميًّا موجزاً ومغنياً ظهر في شرح كلِّ شاهد من شواهد الجُمَل.
٨-التركيز على روايات الشواهد وأسانيدها المختلفة والموثوق فيها لتصحيحها، فضلًا عن اهتمام صاحبه بالتراجم والأعلام، ونقله لها بكلِّ أمانة وصدق.

أريد أن أمهِّد لكلامي بحديث موجز عن أهمِّيَّة الشاهد الشعريّ في قضايا اللُّغة والنحو والأدب، فنحن نعلم أنَّ الشاهد الشعريّ من أهمِّ الشواهد النحويَّة على الإطلاق، فهو يأتي في مرحلة ثانية بعد القرآن الكريم، وعلى الرغم من المشكلات التي أصابت هذا الشاهد النحويّ،[١٨] فقد حظيت شواهد النحويّين الشعريَّة باهتمام واسع من الشرح والتحقيق، وقد قام بوتقة من العلماء بدراسات كاملة للشواهد الشعريَّة في أمّات الشروح الكبار، منهم الأعلم الشنتمريّ / ت٤٧٦هـ/ الذي شرح شواهد سيبويه، والكرمانيّ / ت٧٨٦هـ/ شرح شواهد الموشَّح في شرح كافية ابن الحاجب للخبيصيّ، لأنَّ المؤلِّف من هؤلاء حينما كان يتوقَّف عند الشاهد الشعريّ كان يستطيع من خلال هذه الشواهد أن يظهر القواعد النحويَّة التي استنبطها النحويّون من هذه الشواهد، وشرح المؤلِّف لهذه الشواهد يدلِّل على عدَّة قضايا في آنٍ معاً، فهي تدلُّ على ثقافة المصنِّف الأدبيَّة والتاريخيَّة، لأنَّ في كثير من هذه الشواهد نستطيع أن نستقرئ منها تاريخ العرب، وتاريخ الشاعر نفسه، ومن خلالها يستطيع أن يبيَّن مؤلِّفه أن له باعاً في البلاغة من ناحية، وفي العروض من ناحية أخرى فضلًا عمَّا يمتلكه من خبرة في النحو.

١٨ عصام درار الكوسى، أثر الشاهد الشعري في تقعيد النحو العربي، ط١ (مصر: دار درّة الغواص، ٢٠٢٠)، ٦٥-٢٠٤.

وخير من يمثل هؤلاء البغداديّ / ت١٠٩٣هـ/ الذي صنَّف كتاب (خزانة الأدب، شرح أبيات المغني)، تتعلَّق بالعربيَّة، وبالشعراء والبلاغة، وكثير من هؤلاء الشّرَّاح كانوا يقفون عند الشاهد الشعريّ يبيّنون صاحبه، ويبيّنون إن كان أحد قد شارك الشاعر في نسبة هذا البيت، ويبيّنون الروايات المتعدّدة للبيت الواحد، إن كانت له بعض الروايات الأخرى، ويعربون بعض الكلمات التي يرون أن المعنى يحتاجها، فضلًا عن تبيين موضع الشاهد ووجه الاستشهاد.

إنَّنا نستطيع من خلال هذه الشروح أن نستنبط القاعدة مباشرة، فقد أشار إليها ابن السيد بدايةً، وكان يدلي فيها برأيه، ويذكر آراء العلماء إن كان هناك بعض الآراء الأخرى، وكثير من شواهد سيبويه على سبيل المثال استطعنا أن نعرف ما فيها من خلال شروح هؤلاء العلماء المصنِّفين.

منهج ابن السيد في التفكير النحويّ:

برز جهده العلميّ من خلال اهتمامه بالعامل النحويّ وبالعلَّة النحويَّة، وهذان الأساسان لهما أهمِّيَّة كبيرة في تعليم النحو وترسيخه للمتعلِّمين، فلا نستطيع تفسير أي ظاهرة لغويَّة من دون العودة إليهما، فهما نواته التي يرتكز عليهما التقعيد النحويّ.

إنَّ القارئ والمتأمِّل في تصانيف ابن السيد على اختلاف موضوعاتها وأغراضها يرى أنَّها لا تخلو من المسائل والمَلَاحِظ النحويَّة سواء في كتابه (إصلاح الخلل الواقع في الجمل) أو (الحُلل في شرح أبيات الجُمل) وفيها يعرض مواقفه النحويَّة وآراءه التي تفرَّد بها سواء أكانت صوتيَّة أم صرفيَّة أم نحويَّة أم بلاغيَّة، فنراه يعلّق، ويشرح، ويبيِّن المعاني ثُمَّ يدلي برأيه، سأذكر أمثلة على ذلك من كتابه موضوع بحثنا، أعني الحُلَل، يقول ابن السيد:(وأنشد أبو القاسم، في باب البدل)[١٩] :

وَكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ رِجْلٍ صحيحةٍ ورِجْلٍ رَمَى فيها الزَّمانُ فشلَّتِ

يبدأ البطليوسي بالتعريف بقائل البيت فيقول: ((هذا البيت: لكُثَيِّر عزَّة، وهو: كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعيّ، ويكنَّى: أبا صخر.....))، ويتابع بتعريف معنى اسم الشاعر فيقول: ((كثير: تصغير كثير، وهو من الأسماء المنقولة عن الصفات، والكثير يستعمل في كلام العرب على معنيين: أحدهما: يراد به ضدّ القليل من

١٩ ابن السيد البطليوسي، الحلل في شرح أبيات الجمل، ٢٧-٢٨-٢٩.

قلَّة العدد، والآخر: يراد به العزيز الجليل، يقال: كثرت بك، أي: اعتززت بك، والمرء كثير بأخيه من هذا ..... ونُسِبَ كُثيِّر إلى عزَّة، لشدَّة وجده بها وكلفه، واشتهاره بمحبَّتها، وصُغِّرَ؛ لأنَّه كان حقيراً، شديدَ القصر، وكان إذا دخل على عبد الملك بن مروان، يقول له: طأْطئ رأسك لئلَّا يؤذيك السقف [٢٠]! ولذلك قال فيه الحزين يهجوه [٢١]:

لقد عَلِقتْ زُبَّ الذُّبَابِ كُثَيِّراً أساوِدُ لا يُطْنينه وأراقمُ

يأتي إلى شرح معنى البيت فيقول: ((وأمَّا تشبيهه نفسه بذي رجلين؛ رجل صحيحه، ورجل شلاء، ففيه لأصحاب المعاني قولان: قيل: أراد أنَّها عاهدته وواثقته ألَّا تتحوَّل عليه، فثبت هو على عهده، ولم تثبت، وقيل: إنَّما تمنَّى أن تضيع قلوصه، فيجد سبيلاً إلى بقائه عندها، فيكون من بقائه عندها كذي رجل صحيحه، ويكون من ذهاب قلوصه الحاملة له، وانقطاعه من سفره كذي رجل شلاء، وكلا المعنيين صحيح)).

أمَّا المعنى الأوَّل فكقول النجاشيّ [٢٢] :

وكنْتُ كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رماها صاحب الحدثان

فأمَّا الَّتي صَحَّت فأَزْد شَنوءة وأما الَّتي شلَّت فأزد عُمان

ويدلُّ عليه أيضاً قول كُثَيِّر:

وكنَّا سلكنا في صَعُود من الهوى فلمَّا تَوَافَيْنا ثَبَتُّ وزلَّتِ

وأمَّا الذين قالوا: إنَّه داخل في التّمنِّي؛ فإنَّما قالوا ذلك؛ لأنَّ قبله [٢٣]:

فليتَ قلُوصي عند عزَّة قُيِّدَتْ بحَبْلٍ ضعيفٍ عُزَّ منها فَضَلَّتِ

وغُودِرِ في الحَيِّ المقيمين رَحْلُها وكان لهُ بَاغٍ سِوَايَ فَبَلَّتِ

٢٠ أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني،، تحقيق. فراج (بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٥)، الجزء الثامن ٢٧.
٢١ الأصبهاني، الجزء الرابع عشر ٧٨.
٢٢ عبد القادر ،البغدادي.خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (القاهرة، مصر: مطبعة بولاق، ١٢٩٩)، الجزء الثاني ٣٧٨.
٢٣ البغدادي، الجزء الثاني ٣٨١.

فتقديره عندهم: (فليت قلوصي عند عزَّة قيدت، وليتني كنت.....)، ثُمَّ يأتي إلى إعراب البيت بعد توضيحه للمعنى المراد فيقول: ((وقوله: رمى فيها الزمان: جملة في موضع الصفة لرجل، وأراد: رمى فيها الزمان الداء والشلل، فحذف المفعول، ويُروى: رجل صحيحة، و(رجل) بالرفع، وذلك أنَّ تقديره: هما رجل صحيحة ورجل، فيكون خبر مبتدأ مضمر، وإن شئت كان التقدير: إحداهما رجل صحيحة، والأخرى رجل، فيكون الكلام جملتين وفي التقدير الأوَّل يكون الكلام جملة واحدة، وإن شئت كان التقدير: منهما رجل صحيحة، ومنهما رجل، فيكون كلُّ واحد منهما مبتدأ، ويكون الكلام أيضاً جملتين)).

نلحظ في الشاهد السابق الدقَّة في تحديد فهم المعاني وفق السياق مع تحليل الأوجه الإعرابيَّة.

ولنأخذ مثالاً آخر نجد المتعة في التحليل العميق للشاهد، فهو في أثناء مناقشاته العلميَّة يذكر آراء النحويّين السابقين من بصريّين وكوفيّين، فيراجعهم في أدقِّ المسائل والقضايا النحويَّة والتعريفات والحدود والأبنية والصرف، قال البطليوسيّ:

" وأنشد أبو القاسم في باب القسم" [٢٤]:

تَاللهِ يَبقى عَلى الأَيام ذُو حَيَدٍ بمشمخِرٍّ به الظَّيَّان والآسُ

هذا البيت: يروى لمالك بن خالد الخناعيّ، كذا في كتاب سيبويه، وقال أبو جعفر أحمد بن عبيد: (أنشدني أبو نصر هذا الشعر لأبي ذؤيب الهذلي)، قال: (وأبو عمرو يروي هذا الشعر للفضل بن عبَّاس عتبة بن أبي لهب).

ويروى: "تالله ولله"، وكلاهما قسم فيه معنى التعجُّب.

ويعني بقوله: ذو حيد: الوعل. والحيد: الروغان والفرار، كذا رواه أبو العبَّاس محمَّد بن يزيد، ويروى (ذو حِيد) بكسر الحاء، وقال: هو جمع حيدة، بمنزلة: حيضة وحيض. وكذا رواه أبو سعيد السكريّ في أشعار الهذليّين، وقيل: هو اعوجاج في قرن الوعل.

والمشمخرّ: (الجبل العالي)، والظيان: (ياسمين البرّ)، والآس: (الريحان)، وقيل الآس: (أثر النحل إذا مرَّت فسقط منها نقط من العسل)، حكاه الشيبانيّ، وقيل: (زرق النحل على الصفا)، وقيل: (باقي الرماد على الأثافيّ)، وقال صاحب كتاب العين: (الآس شيء من العسل).

٢٤ ابن السيد البطليوسي، الحلل في شرح أبيات الجمل، ٩٣-٩٦-٩٧.

ولم يكتفِ ابن السيد بشرح معاني المفردات، بل نراه يقوم بإعراب بعض المفردات، ولاسيَّما تعليق بعض أشباه الجمل لأنَّ تعليقها يتوقَّف على المعنى الذي يصل إليه النحويّ من الشاهد، فيقول: والباء في قوله (بمشمخرّ) متعلِّق بكائن، أي (كائن بمشمخرّ)، والباء في قوله: (به الظيَّان) لها موضع أيضاً، وهي في موضع الصفة لـ(مشمخرّ)، كأنَّه قال: كائن به الظيَّان، أو مستقرّ به الظيَّان، والظيَّان على هذا فاعل بالاستقرار، ويجوز أن يكون الظيَّان مرفوعاً بالابتداء وبه خبره، فيكون الباء على هذا في موضع رفع، وهي في الوجه الأوَّل في موضع خفض، وتتعلَّق في الوجهين معاً بمحذوف.

وقوله: (على الأيَّام) في موضع الحال من ذي حيد؛ أي لا يبقى ذو حيد والأيَّام متعاقبة عليه، وأراد: (على تعاقب الأيَّام)، أو (على مرور الأيَّام)، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، وقبل هذا البيت:

يَا مَيُّ إن تفقِدي قوماً وَلدْتِهِم أو تُخْلِسيهم فإنَّ الدَّهر خلاَّسُ

عَمرو وعبد مناف والذي عهدت ببطن مكة آبِي الضَّيم عبَّاسُ

ويروى: ببطن عرعر، كذا رواه أبو سعيد السيرافيّ، وأبو عليّ الفارسيّ". [٢٥]

وأيضاً يقول (أنشد أبو القاسم في هذا الباب): [٢٦]

هي الشفاءُ لدائي لو ظفرتُ بها وليسَ منها شِفاءُ الدّاءِ مبذولُ

هذا البيت لهشام أخي ذي الرِّمَّة وهو اسم مرتجل مشتقّ من قولهم (هشمتُ الشيءَ) إذا كسرته، وذكر أبو الفتح أنَّه اسم منقول من مصدر (هاشْمت).

ويتابع فيقول: ويجوز أن تكون "ليس" في هذا البيت هي العاملة، فيضمر فيها الأمر والشأن وتجعل الجملة في موضع خبرها، ويجوز أن تكون بمنزلة ما لا يعمل شيئاً، وهي لغة لبعض العرب - وهم بنو تميم-وقد ضعف هذا الوجه ابن هشام عندما ذكرها عن ابن السيد في مغنيه.

٢٥ ابن السيد البطليوسي، ١٥-١٦.
٢٦ ابن السيد البطليوسي، ٦٦.

ونلحظ أيضاً أن ابن السيد قد تعدَّدت مناقشاته مع كبار علماء اللُّغة كالخليل وسيبويه والفارسيّ وابن جنِّيّ والفرَّاء والكسائيّ فهو يجلُّهم ويقدرهم ويثمِّن آراءَهم أحياناً نراه يوافقهم الرأي، نذكر شاهداً على ذلك قال ابن السيد (وأنشد أبو القاسم في هذا باب النداء) [٢٧] :

حَيَّتْك عَزّةُ بعد الهجر وانصرفتْ فحيِّ –ويحك– من حَيَّاك يا جملُ
ليتَ التحيَّةَ كانتْ لي فأشكُرها مكانَ –يا جملاً– حُيِّيتَ يا رجلُ

يعلِّق ابن السيد على قضية (يا جملاً) فيقول: "قوله -يا جملاً-كان الوجه رفع (الجمل) وترك التنوين وبناءَه على الضمِّ، لإقبالها عليه بالنداء كما ارتفع (الرجلُ) بالإقبال عليه ولكنَّه اضطرَّ فنوّنه وردّه إلى أصله، وهذا اختيار أبي عمرو ابن العلاء، وقد روي (يا جملٌ حييت) بالرفع، وتنوينه للضرورة وتركه على رفعه اختيار الخليل وسيبويه".

وفي أماكن أخرى نراه لا يوافق أراءهم، فيعقّب على المسألة النحويَّة بالتوضيح والزيادة والشرح، يقول: (وأنشد أبو القاسم في هذا باب المفعول المحمول على المعنى) [٢٨]

وعضُّ زمانٍ يا ابنَ مروانَ لم يَدَعْ من المالِ إلاّ مُسْحَتاً أو مجلّفُ

يتابع ابن السيد (في هذا البيت ثلاث روايات لكلمة (لم يدع) وكلُّها اضطرار:

أحدها فتح الياء والدال من (يَدَع) ونصب (مسحت)، والثانية فتح الياء وكسر الدال من (يَدِع) ورفع (مسحت)، والثالثة ضمُّ الياء وفتح الدال (يُدَع) ورفع (مسحت).

يأتي ابن السيد لمناقشة تلك الوجوه فيقول: " فأمَّا الرواية الأولى -التي ذكرها أبو القاسم- وهي المشهورة ففيها أربعة أقوال:

أحدها: أن يكون (مجلّفُ) مرفوعاً بفعل مضمر، دلَّ عليه (لم يدع) كأنَّه قال (أو بقى مجلّف)، والثاني: أنَّ (مجلّف) مبتدأ مرفوع وخبره محذوف كأنَّه قال (أو مجلّف كذلك) وهو قول الفرَّاء، والثالث: حكاه هشام عن الكسائيّ، أنَّه قال: (تعطفه على الضمير في (مسحت)، والرابع:

٢٧ ابن السيد البطليوسي، ١٩٤–١٩٥.
٢٨ ابن السيد البطليوسي، ٢٨١-٢٨٢–٢٨٣.

وجدته في بعض كلام الفارسيّ أنَّه معطوف على (العضّ)، قال وهو مصدر جاء على صيغة المفعول كما في قوله تعالى ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ (سبأ ١٧)، كأنَّه قال (عضَّ زمان أو تجليف).

ثُمَّ يدلي برأيه على بقية الوجوه ويصدر الحكم فيقول: (وأمَّا على رواية من كسر الدال من (يدع) ورفع (المسحت) فإنَّه جعله من قولهم (وَدِع في بيته) فهو وادع إذا بقى، ورفع (المسحت) به، وفي الكلام حذف كأنَّه قال: (من أجله أو من سببه).

ومن روى بفتح الدالِّ وضمِّ الياء -على صيغة ما لم يسمَّ فاعله-رفع (المسحت) أيضاً إلَّا أنَّه مفعول لما لم يسمَّ فاعله وكان يجب أن يقول (لم يُودع) ولكنَّه حذف الواو كما حذفت من (يَدَع).

وفي تغليط ابن السيد للفارسيِّ في تعدِّي الفعل نراه يقول: (وأنشد أبو القاسم في هذا باب القول) [٢٩]

سَمِعْتُ النّاسَ ينتجعونَ غَيْثاً فقلتُ لصيدحَ انتجعي بلالاً

وزعم الفارسيّ في (الإيضاح) أن (سَمِعَ) يتعدَّى إلى مفعول واحد إذا كان ممَّا يسمع كقولك (سمعتُ كلامَ زيد)، وإنْ كان ممَّا لا يسمع تعدَّى إلى مفعولين كقولك (سمعتُ زيداً يقول كذا وكذا) فتقديره عنده في موضع المفعول الثاني.

وهي من مسائله التي غلط فيها، لأنَّ (سمعت) لو كان ممَّا يتعدَّى إلى مفعولين لم يخلُ أن يكون من باب ما يتعدَّى إلى مفعولين لا يجوز السكوت على أحدهما وهو من باب (ظننت) وأخواتها، أو يكون من باب ما يجوز فيه السكوت على أحد المفعولين، وليس في العربيَّة باب آخر له حكم ثالث، ثُمَّ يتابع ابن السيد ويناقش رأيه باستطراد مشفع بالشواهد اللازمة لهذه المسألة فهو نحويّ زمانه وعلاّمته.

إنَّ الأصول النحويَّة التي اعتمدها ابن السيد كانت على طريقة سيبويه في تعليلاته للمسائل حتَّى ظهرت آراؤه واضحةً من غير تقعيد ولا اضطراب، فلا نكاد نقرأ المسألة إلَّا وتعليلها يتقدَّم تلك الأصول، ونخلص من هذا إلى أنَّه كان بارعاً في استعمال العلَّة التي عدّها الأساس الذي تقوم عليه مسائل اللغة، ومن ذلك قوله: " وأنشد أبو القاسم في باب (الاسمين اللذين لفظهما واحد والآخر منها مضاف) [٣٠]:

٢٩ ابن السيد البطليوسي، ٢٠٨-٢١٢-٢١٣

٣٠ ابن السيد البطليوسي، ٢٠٨-٢١٢-٢١٣.

يـا تَـيْـمُ تَـيْـمَ عَـدِيّ لا أبًـا لكُم لا يُـوقِـعـنَّـكُـمُ في سَـوأة عُمَرُ

(لا أبًـا لكـم) إنَّ (لا) تبرئـة حـذف خبرهـا، كأنَّـه قـال "لا أبًـا لكـم موجـود في الدنيـا"، فـإن قلـت فـما الـذي يمنـع أن يكـون (لكـم) هـو الخـبر فـلا يحتـاج إلى إضـمار، فالجـواب أن المانـع هـو ظهـور الألـف في الأب لأنَّ حـروف المـدِّ واللـين في الأب وأخواتـه أصـول إنَّـما ثبتـت في حـال الإضافـة، فوجـب مـن أجـل أنَّ الألـف تكـون مضافـاً إلى الضمـير وتكـون الـلام مقحمـة تأكيـداً للإضافـة وإذا كان الأمـر عـلى مـا وصفنـاه بطـل أن يكـون (لكـم) هـو الخـبر .... فـإذا قلتـم (لا أبًـا لزيـد) بِـمَ تخفضـون (زيـداً) بإضافـة الأب أو الـلام، يقـول ابـن السـيد: إن الاختيـار عندنـا أن يكـون مخفوضـاً بالـلام لا بالإضافـة والعلَّـة في ذلـك أنَّـه لمـا اجتمـع عاملان، ولم يجـزْ أن يُجَـرَّ (زيـد) بهـما جميعًـا إذ لا يعمـل عاملان في معمـول واحـد في حالـة واحـدة مـن جهـة واحـدة، لم يكـن بـدٌّ مـن تعليـق أحدهـما عـن العمـل وإعـمال الآخـر فـكان تعليـق الاسـم أولى... ولم نجـد حرفـاً يعلّـق عـن العمـل وإن كان زائـداً إلَّا نـادرًا كالبـاء .

ونلحـظ دقَّتـه في التحليـل وأمانتـه العلميَّـة في نسـب العلّـة والآراء لأصحابهـا مـن المدرسـتين يقـول في قـول الشـاعر: [٣١]

يـا تَـيْـمُ تَـيْـمَ عَـدِيّ لا أبًـا لكُم لا يُوقِعنَّكُمُ في سَـوأة عُمَرُ

فيـه مذهبـان مذهـب سـيبويه: (إنَّ "تيـم" الأوَّل مضـاف إلى "عـدي"، و"تيـم" الثانيـة مؤكِّـد اعـترض بـين الخافـض والمخفـوض كاعـتراض (مـا) في قولـه تعـالى ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ**﴾ (آل عمـران ١٥٩)، ومذهـب أبي العبَّـاس المبرَّد أنَّ "تيـماً" الأوَّل مضـاف إلى محـذوف دلَّ عليـه مـا بعـده، كأنَّـه قـال (يـا تيـمَ عـدىً يـا تيـمَ عـدىً).

وفي علّـة الحـذف قـال ابـن السـيد في (يـكُ): (وأنشـد أبـو القاسـم في بـاب الحـروف التـي ترفـع الاسـم وتنصـب الخـبر) [٣٢]، قـال الشـاعر:

٣١ ابن السيد البطليوسي، ٢١٠–٢١١.
٣٢ ابن السيد البطليوسي، ٥١.

قفي قبلَ التفرّق يا ضُباعاً ولا يكُ موقفٌ منكِ الوداعًا

وقد حذفت نون (يكُ) التي هي من أصل الكلمة للتخفيف، وهو جائز.

وعن تفسيره لعلَّة عدم الاستعمال قال ابن السيد وقد أنشد سيبويه هذا البيت شاهداً على إعمال المصدر وفيه الألف واللام، (وأنشد أبو القاسم في باب إضافة المصدر إلى ما بعده) [٣٣]:

لقد علمت أولى المغيرة أنّني لحقتُ فلم أنكل عن الضّرب مِسْمَعًا

ومن النحويّين من لا يجيز إعمال المصدر وفيه ألف ولام، وينصب (مسمعًا) بـ (لحقت) لا بـ الضرب، وعلَّتهم أنَّ الألف واللام تبعد المصدر عن شبه الفعل، وكذلك اسم الفاعل عندهم لا يعمل إذا كانت الألف واللام، وينصبون ما بعده بفعل مضمر أو على التشبيه بالمفعول به.

يقول ابن السيد أيضاً في قول الشاعر في باب (كم) عن استعمالهم للفعل (وَدَعَ) [٣٤]:

سل أميري ما الذي غيّره عن وصالي اليوم حتَّى وَدَعَه

فأتى بالفعل (ودع) على الأصل المرفوض، وقد قرأ بعض القرّاء بالتخفيف قوله تعالى﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾(الضحى ٣)، وهذه القراءة شاذَّة.

وفي تفسيره لِعلّة السماع استعمالهم الظرف (عوض) يقول: (وأنشد أبو القاسم في باب القسم) [٣٥] قول الشاعر:

رَضِيَعيْ لِبَانِ ثَدْيِ أمٍّ تَحالفاً ... بأسْحَم دَاجٍ عَوْضُ لاَ نَتَفرَّقُ

و(عوض) صنم كان لبكر بن وائل، وقيل: هو اسم من أسماء الدهر وزعم المازنيّ أنَّه يُضم ويُفتح ويُكسر وأصله أن ما كان من أسماء الدهر أن يكون ظرفاً كقولهم: "لا آتيك عوض العائضين" كما يقال: "دهر الداهرين" ثُمَّ كثر حتَّى أجراه مجرى أدوات القسم.

٣٣ ابن السيد البطليوسي، ١٦٨.
٣٤ ابن السيد البطليوسي، ١٧٧–٧٨.
٣٥ ابن السيد البطليوسي، ٩٣–١٠٥.

ومن جعل (عوض) ففي إعرابه وجهان الأوَّل أن يكون بدلاً من "أسحم"، والثاني أن يكون القسم بالأسحم، فتكون الباء فيه باء القسم، ويكون "عوض" ظرفاً، كأنَّه قال: لا نفترق عوضَ أي لا نفترق طول دهرنا.

نلحظ أنَّ تعليله كان هادفاً يخدم اللُّغة بأسلوبه السهل الممتنع القريب إلى عقول الناشئة.

إنَّ ابن السيد الذي جعل أصول النحو ديدنه أعطى الأصل الرئيس من هذه الأصول فسحة كبيرة من تفكيره النحويّ، وهو القياس، فقد اتَّكأ عليه بكثرة واضحة، ففي باب (مسائل "أن" الخفيفة الناصبة للفعل أنشد أبو القاسم قول الشاعر) [٣٦]:

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجّج سَرَاتُهم بالفارسيّ المُسَرَّد

وسَراتهم: أشرافهم، واحدهم سَرِيّ، وكأنَّه جمع سارٍ لأنَّه يقال: سرى الرجل يَسْرى ويَسْرُو إذا شَرُف، واسم الفاعل من (سرى ويسري) سارٍ، كما يقال (غزا) فهو (غازٍ)، واسم الفاعل من (سَرُو-يسرُو) سريّ، كما يقال ظَرُف فهو ظريف، وكان القياس أن يقال (سُراتهم) بضمِّ السين، كما يقال (قُضاة) و(غُزاة)، ولا يجمع (فاعل) على (فعلة) مفتوحة الفاء إلَّا ما كان صحيحاً نحو (كافر وكفرة)، وما كان معتلَّ العين نحو (خائن وخونة) ولكنَّهم أجروا معتلَّ اللام مجرى العين لاتفاقهما في الإعلال.

ويقول ابن السيد في معنى (حسَّان) [٣٧]: هو اسم مرتجل غير منقول ولكنَّه مشتقّ من (الحُسْنِ) فيكون وزنه (فعالاً) مصروفاً، ويجوز أن يكون مشتقًّا من (الحِسّ)، فيكون وزنه (فعلان) غير مصروف للزيادة التي في آخره والمعرفة، والأقْيَس فيه ألّا يصرف، لأنَّ حسان لم يصرف اسمه في قول الشاعر:

ما هاجَ حَسّانَ رسومُ المقامِ ومظعنُ الحيّ ومبنى الخيامِ

٣٦ ابن السيد البطليوسي، ٢٦٧-٢٦٩-٢٧٠.
٣٧ ابن السيد البطليوسي، ٤٦.

إن المدقِّق في تلك الشواهد المذكورة آنفًا يلمح الذخيرة اللُّغويَّة الكبيرة التي يمتلكها ابن السيد، ومن خصائص وميّزات أسلوبه وولعه في استعمال العقل في كثير من المسائل النحويَّة المراد مناقشتها لينهيها من دون خلل ولا يريحه ذلك إلَّا بإدخاله عناصر التشويق والموضوعيَّة بالطرح والعلميَّة بالحوار مقلِّباً الوجوه الإعرابيَّة لتكون موائمة للمعنى، وهذه الوجوه سلكها في أسلوب تعليميّ سهل، يدفع طالب العلم إلى تحصيل المزيد من المعرفة.

بعد هذه الوقفة السريعة مع شخصيَّة ابن السيد نرى أنَّ منهجه جامع انتقائيّ على الرغم من تأييده المذهب والآراء البصريَّة وخصوصاً إمام النحويّين سيبويه، والأمر نفسه نراه مع نحويّي الكوفة وبغداد حيث يؤيِّدهم ويخالفهم ويناقشهم ويرد حججهم لذلك نستطيع أن نستخلص منهجه في النحو فهو منهج سهل للمتعلِّمين، فعلم النحو صناعة نفيسة، نفهم من خلالها علوم العربيَّة وبلاغتها.

نتائج البحث:

١-وصلت الدراسات النحويَّة في الأندلس في القرن السادس الهجريّ إلى مرحلة نضجها، ففرضت المدرسة الأندلسيَّة نفسها إلى جانب المدرستين البصريَّة والكوفيَّة، وبيّنت رأيها في أغلب المسائل النحويَّة، وأبرزت آراءها ما جعل منها مدرسة نحويَّة مستقلَّة عدّه الأندلسيُّون إنجازاً مهمًّا.

وقد استطاع نحويّو الأندلس أن يحدثوا في النحو آثارًا مهمَّة، كما استطاعوا أن يؤسِّسوا لهم منهجًا خاصاً في البحث، له خصائصه وسماته، وكان لهم من جميع ذلك ما عرف لهم فيما بعد بالمذهب الأندلسيّ.

٢-كان لابن السيد البطليوسيّ دور بارز في الحياة العلميَّة في منتصف القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجريّين، وساعدت شخصيّته على إثراء التراث النحويّ من خلال التنافس العلميّ الذي شهدته الأندلس، بين مؤيِّد لكتاب الجمل للزجاجيّ ويمثّله أبو الحسن بن الباذش الغرناطيّ، ومعارض له ويمثّله ابن السيد البطليوسيّ في كتابه الحُلَل في شرح أبيات الجُمَل.

٣-كتاب الجُمَل للزجاجيّ منهجه الاختصار في عمومه، وهذا الاختصار تجلّى واضحاً في كثير من الأحيان، بينما نجد منهج البطليوسيّ في حُلَله يطول في تناول المسائل النحويّة وشرحها.

٤-بيّن ابن السيد في كتابه (الحُلل) بعض مواطن الخَلل والأخطاء التي وقع فيها أبو القاسم.

٥-ظهور الشخصيَّة النحويَّة لابن السيد من خلال موقفه من مختلف الآراء والمذاهب النحويَّة، البصريَّة والكوفيَّة والبغداديَّة.

٦-تفرَّد ابن السيد ببعض الآراء النحويَّة التي هداه إليها عقله النحويّ الخصب، وذخيرته اللُّغويَّة والنحويَّة.

٧-اتَّسم ابن السيد بقدرة فائقة في إيصال المعلومة بسهولة ويسر عبر أسلوبه التعليميّ الخالي من الغموض والمعاظلة.

المصادر:

البغدادي، عبد القادر. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. القاهرة، مصر: مطبعة بولاق، ١٢٩٩.

ابن السيد البطليوسي، عبد الله بن محمد. الحلل في شرح أبيات الجمل. تحقيق د، مصطفى إمام. ط١. القاهرة: مكتبة المتنبي، ١٩٧٩.

ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص. تحقيق محمد علي النجار. بيروت: عالم الكتب، د.ت.

ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر، د.ت.

الأصبهاني، أبو الفرج. الأغاني،. تحقيق فراج. بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٥.

الزبيدي، محمد بن الحسن. طبقات النحويين واللغويين. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. مصر: دار المعارف، ١٩٧٣.

الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق. مقدمة المحقق. تحقيق: د، علي توفيق الحمد. ط١. دار الأمل، ١٩٨٤.

الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق. الجمل في النحو. تحقيق د، علي توفيق الحمد. ط١. دار الأمل، ١٩٨٤.

القفطي، جمال الدين بن يوسف. إنباه الرواة على أنباه النحاة. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. ط١. دار الكتب المصرية، ١٩٥٢.

الكوسى، عصام درار. أثر الشاهد الشعري في تقعيد النحو العربي. ط١. مصر: دار درّة الغواص، ٢٠٢٠.

اليافعي، عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان. الهند: طبعة حيدر آباد الدكن، ١٣٣٧.